معرض العزاوي

وجوه متسائلة وأيادٍ ممتدة وأجنحة تنشد السلام

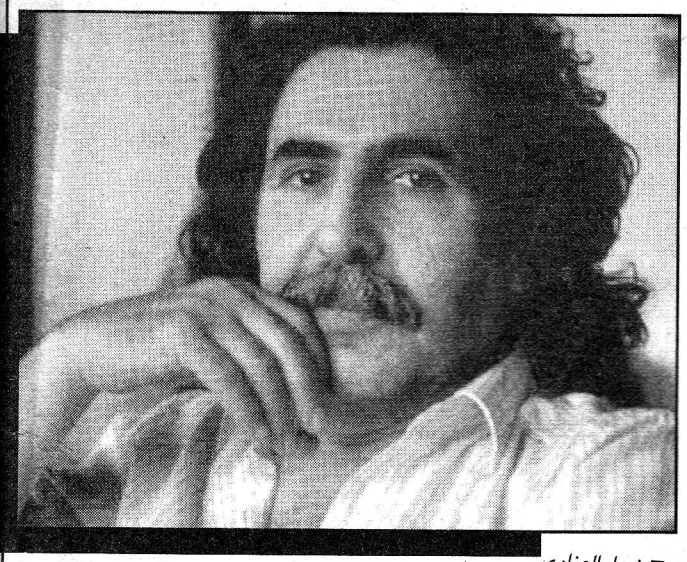

■ ضياء العزاوي

بقلم: حسن الصحاف

«حينما يعرف الإنسان طريق الوهم تتجرد الأشياء من حدودها الخارجية ويصبح سراً لا تُكتَشَف أجزاؤه بسرعة، تَلَبَّسني الوهم منذ مارست حضوري في لحظات البداية، ومنها أصبحت أعيش في حلم أن تكون الأشياء الخارجية قادرة على ممارسة الضغط في تحقيق ذاتها في معنى ما». ضياء العزاوي.

تحت رعاية محمد المطوع وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء والإعلام وبحضور الشيخ راشد بن خليفة آل خليفة وكيل وزارة الداخلية للهجرة والجوازات والرئيس الفخري لـ «جمعية البحرين للفنون التشكيلية»، افتتح في «مركز الفنون التشكيلية» المعرض المشترك (تصوير/شعر) للفنان ضياء العزاوي والشاعر قاسم حداد بتاريخ 3 مارس 1996. وقد حضر افتتاح المعرض جمع كبير من محبي الفن التشكيلي والشعر بشكل خاص والثقافة بشكل عام.

«أدقّ روحي نذر للجايب ابشاره
وورجيه إعلى الجروح إل ماطن چاره
جرح ينزف وجرح بان أعلى مسماره»

قفزت هذه الأبيات الشعبية العراقية من أعماق ذاكرتي إلى مقدمة الوعي في اللحظة الأولى التي وقع فيها بصري على محتويات المعرض مصطحبة معها صور ابن عمي البصراوي «علي» وهو يشدو بها فرحاً بزيارتي الأولى للبصرة قبل أن أموت حسرة (كما يقال). كان فرحاً يأخذ بيدي سريعاً بين النخيل وشط العرب ومضارب «السياب»، حيث الألوان التي لازالت عالقة في الذاكرة هناك هي الألوان هنا، والأشكال هناك هي الأشكال هنا، والعبق الروحي هناك هو العبق الروحي هنا.

عرض الفنان في هذا المعرض ما يقارب من 80 عملاً فنياً اختلفت أحجامها وموضوعاتها، يتصل بعض منها بمجموعة «مجنون ليلى» وهي المجموعة التي يشاركه فيها شعرياً الشاعر قاسم حداد، ومنها ما هو أعمال تشكيلية خالصة. سوف تتطرق هذه العجالة للأعمال التشكيلية الخالصة كونها لا تستوجب في حقيقة الأمر قراءة للنص الشعري لتبيان العلاقة الإبداعية بينهما. هنا أدرج مسميات الأعمال الفنية لكي تكون عوناً للباحث في المستقبل أولاً، وثانياً لكي نسجل ـ للتاريخ ـ أنها عرضت هنا في البحرين أولاً: «طائر الشرق، من كتاب الأبواب، الفواية، قناع ليلى، نار الجنون، حلم أميرة مصرية، بنت راشد، المير، الرجل الصامت، تأمل، تكوين، الغروب، ضوء أول النهار، شمعة لمفن، زاوية البحر، منظر احمر، ظل نخلة، حديقة مغربية، ذكريات، منظر أحمر، مملكة الوهم، زليج مغربي، منظر خريفي، خارطة خضراء، حقل شمس، حديقة منتصف الليل، شكل أخضر، أثر الترحال، ساحة الفنا، فضاء الغروب، الحلم الأزرق، حديقة شرقية، منزل شرقي، مراكش، وصول الغريب، حدائق ميرامار، فانتازية الليل، خارطة رحالة عربي، أشجار تكسر صمتها، ضوء أول النهار، سأقول عن ليلى، يا تاجنا في الصحايا، قنديل يهدي العاشق، سأقول عن قيس، باب الولع، أعطته فأخذها، زفير الجنة، باب الشهوة، أشعلني أم طفاني، قل هو الحب، آتيك، سأقول عن ليلى، تاج الملك، ماءٌ يقول القصيدة، هودج الليل، زجاجة الجسد، معلقة طرفة بن العبد، معلقة امرىء القيس، الجواهري، مجموعة ألف ليلة وليلة. تتمتع أعمال «ضياء العزاوي» بخاصية لونية لا تتعدى في مجموعها أصابع اليد ولا تخرج عن مجموعة الألوان الأساسية والثانوية إلا فيما ندر. والألوان هي: الأحمر، الأصفر، والأزرق، إضافة إلى ما ينتج عنه عند مزج بعضها مع بعض، إلى جانب ذلك فهو يعتمد في بعض أعماله على مواد أخرى في صلب العمل الفني مثل قماشة أو منحوتة وتكون ذات صلة عميقة بالمصدر المستقى منه موضوع العمل الفني.

وكما نعرف أن للألوان رمزيتها عبر الحضارات وخصوصاً الألوان الأساسية منها، فاللون الأحمر هو لون النار والدم، وهو لون العشق الإلهي، وهو لون الحب البشري، وهو لون الشهيد، وهو لون الخمر، وله دلالة قربانية، وله دلالة شريرة، وعند المصريين القدماء له دلالة مشئومة، وهو عند أهل كشمير يعني السعادة، وهو في العصر الحديث إشارة إلى التوقف أو الخطر. أما اللون الأصفر فله دلالاته أيضاً، فهو لون الشمس، وهو رمز القوة و الذكاء والحكمة، وهو رمز الحسد، والخيانة، وعدم الثبات، وهو رمز للخلود، وهو رمز للموت، وهو عند اليابانيين رمز الفرح والكمال، وهو في الهند لون «شيفا» المقدس، أما اللون الأزرق فهو لون السماء، والصفاء، واللطف، وهو أيضاً لون الحماية، وهو لون الخريف، وهو لون الكذب.

ويبرز في هذا المعرض استلهام العزاوي للتراث واضحاً في العديد من اللوحات. وهو لا يستلهم التراث القديم فقط، بل أيضاً يستلهم تراث حاضره بكل مشاهده اليومية، وإن دلّ هذا على شيء إنما يدل على وعي الفنان بما في حضارته من معطيات فنية يشترك اللون بشكل أساسي في تكوينها. هنا رؤية أولية لبعض من الأعمال المعروضة:

لوحة «حلم أميرة مصرية» 200 \ 200سم

صغيرة خضراء في شكل دائري في المساحة الحمراء، ثم هناك في الجانب الأيسر أيضاً خط أسود يحتضنه خطان أصفران وفي أسفل اللوحة من الجهة اليسرى لمسات لونية صفراء تتداخل مع اللون الأحمر، في الجانب الأيمن من اللوحة يقف مارد له رأس أبيض تشغل مساحته عين سومرية واسعة تحيطه مساحة لونية تميل إلى البرتقالي الغامق. اللوحة «نار الجنون» تشير إلى بحر الدم الذي يغرق فيه العراق، كما تشير إلى عالم الظلام، وكأني بها تردد: «عبر الأسوار العالية السميكة، يمرون كالطوفان/يمرقون من بيت إلى البيت لا يمنعهم باب ولا يصدهم مزلاج/فهم ينسلّون عبر الباب كانسلال الأفاعي ويمرقون من فتحته كالريح/ينتزعون الزوجة من حضن زوجها/ويختطفون الطفل من على ركبتي أبيه/ويأخذون الرجل من بين أسرته» (نص بابلي)، فالوجه الأبيض هنا لا يعني لون السلام، إنما هو تعبير عن برودة كما الثلج في قمم الجبال، وهو دلالة عن البرودة التي تميت كل شيء، تلك البرودة التي أدّت بالعراق إلى أن يحيا كابوس لم يعرفه عبر تاريخه العريق. ولوحة «نار الجنون» تأتي ليس فقط لتؤكد على جنون اللحظة، إنما لتؤكد أيضاً على مختلف أشكال الجنون العصرية، الجنون الذي يأخذ البشر إلى طقس انتحار جماعي لا شعوري. إن الرمزية التي انتهجها الفنان إن دلت على شيء إنما دلّت ـ لي شخصياً على أقل تقدير ـ على ألم دفين في نفس الفنان لما يمر به الوطن ـ العراق ـ والإنسان من معاناة كبيرة.

لوحة «بنت راشد» 132 \ 103سم رقم (8)

اللوحة تصور سيدة عراقية وأخالها من سيدات الأهوار ترتدي برقعاً أخضر نصفه الأيمن، والنصف الأيسر منه باللون الأسود، والجزء الظاهر من الوجه باللون الأبيض، فدلالة اللون الأخضر ترمز إلى الربيع وهو في الطبيعة علامة البعث، وهو علامة القيامة عند المصريين، وهو لون الخصوبة، وهو شعار الإسلام، فيا ترى إلى ماذا يرمز هنا؟ أما اللون الأسود فهو لون الحداد، وهو فأل شر، ورمز للشيطان، وقد يدل اللون الأبيض الظاهر من الوجه على الطهارة والفرح واليمن والصحة. يعلو اللوحة شريط أسود، ثم مساحات لونية تشكلها الألوان: الأسود، الأخضر، البنفسجي، الأصفر، وغيرها. في الجهة اليمنى من اللوحة، حيث اللون الأزرق البحري المتدرج، فقد غطى اللوحة وأعطاها بعداً ثالثاً ودفع إلى الأمام جسد السيدة المتشكل بمسحات لونية من الأخضر والأصفر والأبيض والأحمر وقطعة من قماش طويلة بنفسجية وأخرى سوداء مزينة بورد، شريط لوني يفصل بين اللون الأزرق والمسحات اللونية الأخرى.

اللوحة تمتلك عناصر إبداعية جميلة جداً، ولا أخالني بحاجة إلى التأكيد بأن المعالجة واختيار الألوان لم تأت من فراغ، فالعارف بالطبيعة البشرية العراقية ونوعية الملابس التي ترتديها تعرف مصدر حبكة الألوان هذه.

لوحة «بنت راشد» 132 × 103 رقم (7)

اللوحات. وهو لا يستلهم التراث القديم فقط، بل أيضاً يستلهم تراث حاضره بكل مشاهده اليومية، وإن دلّ هذا على شيء إنما يدل على وعي الفنان بما في حضارته من معطيات فنية يشترك اللون بشكل أساسي في تكوينها. هنا رؤية أولية لبعض من الأعمال المعروضة:

لوحة «حلم أميرة مصرية» 200 \ 200سم

تعتمد بنائية اللوحة على تقسيم هندسي طولي لا تتلفي عناصرها الرئيسية في بناء بعضها البعض، فهي ـ العناصر ـ عبارة عن ثلاث كتل رئيسية: مستطيل في الجهة اليمنى تشكله تقنية ومعالجة مغايرة للعناصر الأخرى ويخلو من أية إشارة إلى كائن بشري سوى سلوك الفنان في المعالجة الظاهرة بشكل جلي، حيث الانزعاج والتشنج لحركة السكين الواعية حيناً والعفوية حيناً آخر في فضاء له تضاريس صحراوية بلون أصفر المغرة كما هي صحراء مصر المكتظة بالأهرامات. العنصران الآخران تحتضنهما مساحة لونية سوداء كبيرة نوعاً ما، العنصر الأول يأخذ حيزاً أكبر من العنصر الآخر ويتوسط اللوحة بشكل عمودي مائل قليلاً وهو عبارة عن رأس مصور بشكل جانبي يعود في شكله إلى الحضارة السومرية، حيث العيون واسعة والأنف طويل وحاد، يحيط بالرأس مستطيلان يتشكلان من مساحات لونية تبرز بياض اللون في الوجه، في الوسط ذراعان تشي حركتهما بنشاط احتفالي تنشد فيها الأهازيج على ضربات الدفوف، تحيط بالذراعين مسحات لونية تشكلها خطوط متعرجة كما لو أنها موجات صوتية لضربات الدفوف والأهازيج، الجزء الأسفل من هذا العنصر عبارة عن موجات غير متساوية الحجوم ذات لون واحد تفصله خطوط سوداء في شكل تعاريج أرض العراق يمر بها نهرا دجلة والفرات. في العنصر الثالث يستلف «العزاوي» من الحضارة المصرية القديمة شكل المومياء ليضع فيه جسد الأميرة ذات الوجه العراقي المتسائل في وقفة شبه أسطوانية يصطبغ ثلث وجهها بلون الزرقة والثلثان الآخران بأصفر المغرة المخضر تحيطه خصائل شعرها الأسود ومسحات لونية تختلف في أحجامها وتعاريجها، الفائف الفرعونية التي يستلفها العزاوي من الحضارة المصرية القديمة تأخذ لوناً حديثاً ـ بنفسجي ـ وهو ـ اللون ـ رمزياً يعني التوبة، وهو أيضاً يرمز إلى الملائكية، فهل هذه الملائك المصرية تائبة؟ تعتمد اللوحة إطاراً لها مخالفاً لمختلف الأطر في المعرض، حيث نقشت عليه رموز هيلوغرافية إلى جانب عنوان اللوحة باللغة العربية في الأعلى واسم الفنان في الأسفل.

لوحة «نار الجنون» 220 \ 200سم

هندسة التكوين في هذا العمل تظهر بشكل صارخ رمزية، وتتشكل اللوحة بمجملها من اللون الأحمر النقي مع مسحة سوداء في الجانب الأيسر وبقعة

التي يشاركه فيها شعرياً الشاعر قاسم حداد، ومنها ما هو أعمال تشكيلية خالصة. سوف تتطرق هذه العجالة للأعمال التشكيلية الخالصة كونها لا تستوجب في حقيقة الأمر قراءة للنص الشعري لتبيان العلاقة الإبداعية بينهما. هنا أدرج مسميات الأعمال الفنية لكي تكون عوناً للباحث في المستقبل أولاً، وثانياً لكي نسجل ـ للتاريخ ـ أنها عرضت هنا في البحرين أولاً: «طائر الشرق، من كتاب الأبواب، الفواية، قناع ليلى، نار الجنون، حلم أميرة مصرية، بنت راشد، المير، الرجل الصامت، تأمل، تكوين، الغروب، ضوء أول النهار، شمعة لمفن، زاوية البحر، منظر احمر، ظل نخلة، حديقة مغربية، ذكريات، منظر أحمر، مملكة الوهم، زليج مغربي، منظر خريفي، خارطة خضراء، حقل شمس، حديقة منتصف الليل، شكل أخضر، أثر الترحال، ساحة الفنا، فضاء الغروب، الحلم الأزرق، حديقة شرقية، منزل شرقي، مراكش، وصول الغريب، حدائق ميرامار، فانتازية الليل، خارطة رحالة عربي، أشجار تكسر صمتها، ضوء أول النهار، سأقول عن ليلى، يا تاجنا في الصحايا، قنديل يهدي العاشق، سأقول عن قيس، باب الولع، أعطته فأخذها، زفير الجنة، باب الشهوة، أشعلني أم طفاني، قل هو الحب، آتيك، سأقول عن ليلى، تاج الملك، ماءٌ يقول القصيدة، هودج الليل، زجاجة الجسد، معلقة طرفة بن العبد، معلقة أمرىء القيس، الجواهري، مجموعة ألف ليلة وليلة. تتمتع أعمال «ضياء العزاوي» بخاصية لونية لا تتعدى في مجموعها أصابع اليد ولا تخرج عن مجموعة الألوان الأساسية والثانوية إلا فيما ندر. والألوان هي: الأحمر، الأصفر، والأزرق، إضافة إلى ما ينتج عنه عند مزج بعضها مع بعض، إلى جانب ذلك فهو يعتمد في بعض أعماله على مواد أخرى في صلب العمل الفني مثل قماشة أو منحوتة وتكون ذات صلة عميقة بالمصدر المستقى منه موضوع العمل الفني.

وكما نعرف أن للألوان رمزيتها عبر الحضارات وخصوصاً الألوان الأساسية منها، فاللون الأحمر هو لون النار والدم، وهو لون العشق الإلهي، وهو لون الحب البشري، وهو لون الشهيد، وهو لون الخمر، وله دلالة قربانية، وله دلالة شريرة، وعند المصريين القدماء له دلالة مشئومة، وهو عند أهل كشمير يعين السعادة، وهو في العصر الحديث إشارة إلى التوقف أو الخطر. أما اللون الأصفر فله دلالاته أيضاً، فهو لون الشمس، وهو رمز القوة و الذكاء والحكمة، وهو رمز الحسد، والخيانة، وعدم الثبات، وهو رمز للخلود، وهو رمز للموت، وهو عند اليابانيين رمز الفرح والكمال، وهو في الهند لون «شيفا» المقدس، أما اللون الأزرق فهو لون السماء، والصفاء، واللطف، وهو أيضاً لون الحماية، وهو لون الخريف، وهو لون الكذب.

ويبرز في هذا المعرض استلهام العزاوي للتراث واضحاً في العديد من اللوحات. وهو لا يستلهم التراث القديم فقط، بل أيضاً يستلهم تراث حاضره بكل مشاهده اليومية، وإن دلّ هذا على شيء إنما يدل على وعي الفنان بما في حضارته من معطيات فنية يشترك اللون بشكل أساسي في تكوينها. هنا رؤية أولية لبعض من الأعمال المعروضة:

لوحة «حلم أميرة مصرية» 200 \ 200سم

تعتمد بنائية اللوحة على تقسيم هندسي طولي لا تتلفي عناصرها الرئيسية في بناء بعضها البعض، فهي ـ العناصر ـ عبارة عن ثلاث كتل رئيسية: مستطيل في الجهة اليمنى تشكله تقنية ومعالجة مغايرة للعناصر الأخرى ويخلو من أية إشارة إلى كائن بشري سوى سلوك الفنان في المعالجة الظاهرة بشكل جلي، حيث الانزعاج والتشنج لحركة السكين الواعية حيناً والعفوية حيناً آخر في فضاء له تضاريس صحراوية بلون أصفر المغرة كما هي صحراء مصر المكتظة بالأهرامات. العنصران الآخران تحتضنهما مساحة لونية سوداء كبيرة نوعاً ما، العنصر الأول يأخذ حيزاً أكبر من العنصر الآخر ويتوسط اللوحة بشكل عمودي مائل قليلاً وهو عبارة عن رأس مصور بشكل جانبي يعود في شكله إلى الحضارة السومرية، حيث العيون واسعة والأنف طويل وحاد، يحيط بالرأس مستطيلان يتشكلان من مساحات لونية تبرز بياض اللون في الوجه، في الوسط ذراعان تشي حركتهما بنشاط احتفالي تنشد فيها الأهازيج على ضربات الدفوف، تحيط بالذراعين مسحات لونية تشكلها خطوط متعرجة كما لو أنها موجات صوتية لضربات الدفوف والأهازيج، الجزء الأسفل من هذا العنصر عبارة عن موجات غير متساوية الحجوم ذات لون واحد تفصله خطوط سوداء في شكل تعاريج أرض العراق يمر بها نهرا دجلة والفرات. في العنصر الثالث يستلف «العزاوي» من الحضارة المصرية القديمة شكل المومياء ليضع فيه جسد الأميرة ذات الوجه العراقي المتسائل في وقفة شبه أسطوانية يصطبغ ثلث وجهها بلون الزرقة والثلثان الآخران بأصفر المغرة المخضر تحيطه خصائل شعرها الأسود ومسحات لونية تختلف في أحجامها وتعاريجها، الفائف الفرعونية التي يستلفها العزاوي من الحضارة المصرية القديمة تأخذ لوناً حديثاً ـ بنفسجي ـ وهو ـ اللون ـ رمزياً يعني التوبة، وهو أيضاً يرمز إلى الملائكية، فهل هذه الملائك المصرية تائبة؟ تعتمد اللوحة إطاراً لها مخالفاً لمختلف الأطر في المعرض، حيث نقشت عليه رموز هيلوغرافية إلى جانب عنوان اللوحة باللغة العربية في الأعلى واسم الفنان في الأسفل.

لوحة «نار الجنون» 220 \ 200سم

هندسة التكوين في هذا العمل تظهر بشكل صارخ رمزية، وتتشكل اللوحة بمجملها من اللون الأحمر النقي مع مسحة سوداء في الجانب الأيسر وبقعة صغيرة خضراء في شكل دائري في المساحة الحمراء، ثم هناك في الجانب الأيسر أيضاً خط أسود يحتضنه خطان أصفران وفي أسفل اللوحة من الجهة اليسرى لمسات لونية صفراء تتداخل مع اللون الأحمر، في الجانب الأيمن من اللوحة يقف مارد له رأس أبيض تشغل مساحته عين سومرية واسعة تحيطه مساحة لونية تميل إلى البرتقالي الغامق. اللوحة «نار الجنون» تشير إلى بحر الدم الذي يغرق فيه العراق، كما تشير إلى عالم الظلام، وكأني بها تردد: «عبر الأسوار العالية السميكة، يمرون كالطوفان / يمرقون من بيت إلى البيت لا يمنعهم باب ولا يصدهم مزلاج / فهم ينسلّون عبر الباب كانسلال الأفاعي ويمرقون من فتحته كالريح / ينتزعون الزوجة من حضن زوجها / ويختطفون الطفل من على ركبتي أبيه / ويأخذون الرجل من بين أسرته» (نص بابلي)، فالوجه الأبيض هنا لا يعني لون السلام، إنما هو تعبير عن برودة كما الثلج في قمم الجبال، وهو دلالة عن البرودة التي تميت كل شيء، تلك البرودة التي أدت بالعراق إلى أن يحيا كابوس لم يعرفه عبر تاريخه العريق. ولوحة «نار الجنون» تأتي ليس فقط لتؤكد على جنون اللحظة، إنما لتؤكد أيضاً على مختلف أشكال الجنون العصرية، الجنون الذي يأخذ البشر إلى طقس انتحار جماعي لا شعوري. إن الرمزية التي انتهجها الفنان إن دلّت على شيء إنما دلّت ـ لي شخصياً على أقل تقدير ـ على ألم دفين في نفس الفنان لما يمر به الوطن ـ العراق ـ والإنسان من معاناة كبيرة.

لوحة «بنت راشد» 132 \ 103سم رقم (8)

اللوحة تصور سيدة عراقية وأخالها من سيدات الأهوار ترتدي برقعاً أخضر نصفه الأيمن، والنصف الأيسر منه باللون الأسود، والجزء الظاهر من الوجه باللون الأبيض، فدلالة اللون الأخضر ترمز إلى الربيع وهو في الطبيعة علامة البعث، وهو علامة القيامة عند المصريين، وهو لون الخصوبة، وهو شعار الإسلام، فيا ترى إلى ماذا يرمز هنا؟ أما اللون الأسود فهو لون الحداد، وهو فأل شر، ورمز للشيطان، وقد يدل اللون الأبيض الظاهر من الوجه على الطهارة والفرح واليمن والصحة. يعلو اللوحة شريط أسود، ثم مساحات لونية تشكلها الألوان: الأسود، الأخضر، البنفسجي، الأصفر، وغيرها. في الجهة اليمنى من اللوحة، حيث اللون الأزرق البحري المتدرج، فقد غطى اللوحة وأعطاها بعداً ثالثاً ودفع إلى الأمام جسد السيدة المتشكل بمسحات لونية من الأخضر والأصفر والأبيض والأحمر وقطعة من قماش طويلة بنفسجية وأخرى سوداء مزينة بورد، شريط لوني يفصل بين اللون الأزرق والمسحات اللونية الأخرى.

اللوحة تمتلك عناصر إبداعية جميلة جداً، ولا أخالني بحاجة إلى التأكيد بأن المعالجة واختيار الألوان لم تأت من فراغ، فالعارف بالطبيعة البشرية العراقية ونوعية الملابس التي ترتديها تعرف مصدر حبكة الألوان هذه.

لوحة «بنت راشد» 132 × 103 رقم (7)

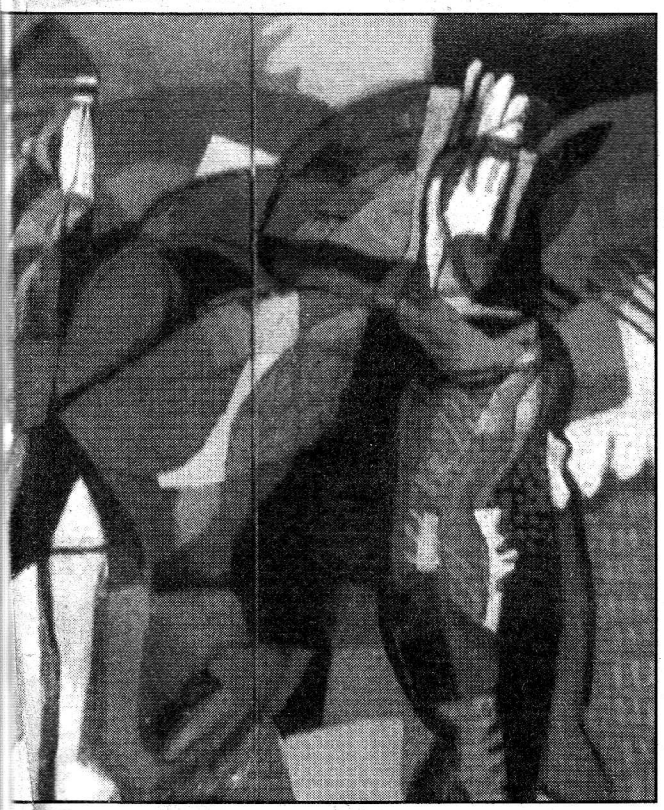

■ الرجل الصامت

الجنون» ثانٍ ليس فقط لتؤكد أيضاً على مختلف أشكال الجنون العصرية، الجنون الذي يأخذ البشر إلى طقس انتحار جماعي لا شعوري. إن الرمزية التي انتهجها الفنان إن دلت على شيء إنما دلّت - لي شخصياً على أقل تقدير - على ألم دفين في نفس الفنان لما يمر به الوطن - العراق - والإنسان من معاناة كبيرة.

لوحة «بنت راشد» 132 \ 103سم رقم (8)

اللوحة تصور سيدة عراقية وأخالها من سيدات الأهوار ترتدي برقعاً أخضر نصفه الأيمن، والنصف الأيسر منه باللون الأسود، والجزء الظاهر من الوجه باللون الأبيض، فدلالة اللون الأخضر ترمز إلى الربيع وهو في الطبيعة علامة البعث، وهو علامة القيامة عند المصريين، وهو لون الخصوبة، وهو شعار الإسلام، فيا ترى إلى ماذا يرمز هنا؟ أما اللون الأسود فهو لون الحداد، وهو فأل شر، ورمز للشيطان، وقد يدل اللون الأبيض الظاهر من الوجه على الطهارة والفرح واليمن والصحة. يعلو اللوحة شريط أسود، ثم مساحات لونية تشكلها الألوان: الأسود، الأخضر، البنفسجي، الأصفر، وغيرها. في الجهة اليمنى من اللوحة، حيث اللون الأزرق البحري المتدرج، فقد غطى اللوحة وأعطاها بعداً ثالثاً ودفع إلى الأمام جسد السيدة المتشكّل بمسحات لونية من الأخضر والأصفر والأبيض والأحمر وقطعة من قماش طويلة بنفسجية وأخرى سوداء مزينة بورد، شريط لوني يفصل بين اللون الأزرق والمسحات اللونية الأخرى.
اللوحة تمتلك عناصر إبداعية جميلة جداً، ولا أخالني بحاجة إلى التأكيد بأن المعالجة واختيار الألوان لم تأت من فراغ، فالعارف بالطبيعة البشرية العراقية ونوعية الملابس التي ترتديها تعرف مصدر حبكة الألوان هذه.
لوحة «بنت راشد» 132 × 103 رقم (7)

جاءت هذه اللوحة مغايرة جداً للوحة «بنت راشد» التي ذكرنا أعلاه، ففي هذه اللوحة لعبت قريحة الفنان لعبتها وجسدت على قماشة اللوحة وبطريقة إبداعية تجريدية «بنت راشد» الخاصة بالفنان وحلمه. وقد منح الفنان وجه «بنت راشد» هنا اللون الأحمر العذري يعلوه أصفر المغرة وأعطى الجسد ألوانا عدة: أحمر، أزرق، أخضر، أبيض، بنفسجي، أصفر، وغيرها، وأحاط به من الجهة اليسرى اللون البنفسجي ثم في النهاية العليا وضع شريطاً من قماش بنفسجي مزين بورد، الجهة اليمنى كستها مسحة شبه مربعة حمراء ومن أسفلها بقعة لونية من أصفر المغرة وأخرى وردية. نكتشف في هندسة توزيع العناصر والألوان ذكاء واضحا، حيث تظهر المساحات وإن اختلفت في أشكالها بنفس الحجم، فإن البقعة الحمراء شبه المربعة هي نفس حجم الشريط القماشي في أعلى اللوحة مساحة، وهي تعادل - تقريباً - حجم الوجه مساحة، وهكذا.

لوحة «طائر الشرق» 240 \ 240 «ثلاثية»

قد لا أوفي هذه اللوحة حقها في الشرح وإظهار تفاصيل ما تتضمنه من إبداع في الشكل والمضمون. وقد أصابتني الحيرة في البدء - ولا أزال - في أمر جعل اللوحة على ثلاث قماشات منفصلة عن بعضها البعض (ثلاثية). يكمن السبب في تقسيمها على هذا الشكل في حجمها الكبير إلى أن تقسيمها جاء ليسهل حملها والانتقال بها من موقع إلى آخر، أم أن هناك سراً آخر دفين عند الفنان حقيقة أمره؟ أم أنها ترمز إلى أحد الثالوثات المعروفة: «حجر، ماء (أو نبع) شجر» أو «الأرض، الشمس، الماء». على أية حال لا أخالني أذهب بعيداً إذا افترضت أن الفنان يرمز بهذا التقسيم إلى: الحجر، الماء والشجر، وهي مجتمعة تعني الوطن.

وإذا أخذنا جولة سريعة ندرس بها العناصر الإبداعية الأخرى لهذه اللوحة فسنجد فيها بمجملها عرساً لونياً لا شك فيه، وهي تصرخ برمزية ذات أبعاد عدة أهمها ذلك الذي يُظهر للوهلة الأولى البعد الإنساني الداعي إلى المحبة والسلام والذي يعبر عنه ذلك الطائر الأبيض - حمامة - تقتسم جسدها قماشتان من القماشات الثلاث، ثم هناك رمز آخر في أسفل اللوحة وهو عبارة عن رأس بحجم كبير تشكله الألوان: الأبيض والأصفر والأخضر والبرتقالي والوردي والرمادي وجميعها - الألوان - لها دلالتها الرمزية المختلفة. ثم هناك في القماشة على الجهة اليسرى فرح لوني على هيئة كائن بشري تشكّله ألوان عدة. في أعلى اللوحة شريط متعدد الألوان: أخضر، أصفر المغرة، أزرق، أزرق غامق، وغيرها.. وفي وسط اللوحة مسحة لونية زرقاء كبيرة وشكل هندسي لم أستشفّ رمزيته.
مما لا شك فيه أن لوحة «طائر الشرق» ستثير قريحة نقّاد الفن التشكيلي والشعراء كما هو الحال مع لوحات أخرى في هذا المعرض في المستقبل، لذا فإني أفضل أن لا أستعجل الأمور وأستنبط ما قد يكون غير دقيق وصحيح ونحن بانتظار ما سوف يقوله الفنان بشأنها إذا ما هو استجوب بشأنها.

لوحة «الرجل الصامت» 153 \ 244

لا تخلو هذه اللوحة من الرمزية السياسية المناوءة للحرب والقتل وبحور الدم أينما كانت - هنا اللوحة ترمز وبشكل فاضح إلى حمام الدم في العراق - وهي ثلاثية أيضاً. ويأتي هذا التقطيع للوحة إلى ثلاثة أقسام ليزيد من فعالية الرمزية السياسية، حيث تشكل إحدى هذه القطع الثلاث مساحة حمراء تحتضن تمثالاً سومرياً لـ «كوديا» ذلك الذي رفض أن يحمل لقب ملك والذي جعل من مدينة «لكش» مركزاً حضارياً لا مثيل له. ونجد هذا التمثال منحوتاً كما ظهر دائماً مشبوك اليدين وبملابس الرهبنة البسيطة يحدق بعينيه التي تحتل مساحة كبيرة من الرأس المعمم. قد يرمز هذا التمثال إلى الشعب العراقي في محنته الحالية، وقد يرمز إلى أمر آخر ستبرزه الأيام. في القطعة الثانية تصطدم العين بكف بيضاء وكأنما بها كف أولئك البشر الذين يحاولون دفع الظلم عن العراق وأهله، كما تصطدم أيضاً بشكل يشبه الصاروخ ومساحات لونية قد تعني شيئاً إذا ما أطيل النظر إليها فحصاً، وتظهر أشكال آدمية وأخرى هندسية تنتقل بينها العين بهدوء تارة، وتارة أخرى مسرعة. في القطعة الثالثة نجدنا في مواجهة أجزاء طائر مقطع الأوصال في مناطق متناثرة خصوصاً في الجهة اليمنى.
كما أنّا نلاحظ أن الألوان خفّ وهجها وحدتها وزادت فيها كمية الخطوط القصيرة المستقيمة، فنحن في القطعة الأولى لا نرى إلا اللون الأحمر وشريط طولي أصفر وتمثال، ثم ننتقل إلى عرس لوني بخطوط منحنية في كل الاتجاهات وبأطوال متعددة، بعدها ننتقل إلى هدوء لوني واختلاف في النوع والكم بالنسبة للخطوط مما يوحي بأن الفنان قد ثار في البدء من اليسار ولم يرَ إلا الدم ثم خفّت حدة الثورة عنده ورأى بريق أمل، بعدها خفّت حدة الثورة والأمل إلى أبعد حدودها، حيث خفّت معها الألوان وبريقها وهدأت اليد والروح لتنتج خطوطاً فيها من التبصر دون العفوية الكثير.
لا يخامرنا شك أن هذا الإنتاج الفني الكبير جاء نتيجة صدق مع الذات فكراً وسلوكاً، وجاء نتيجة مساحة الحرية التي منحها الفنان نفسه للتعبير عن كل ما يجول في مخيلته.
المعرض يزخر باللوحات الجميلة جداً شكلاً والفنية مضموناً مما يصعب علينا أن نتطرق لها جميعاً عسى أن يسمح لنا الوقت بالنظر إلى بعضها الآخر في مرات أخرى.
إشارة أولى:
* يرجى العودة إلى ملحق «رؤى» العدد 119 الصادر عن «جريدة *الزمان*» في يوم الأحد الموافق 3 مارس 1996 في العدد 2534 للتعرف بادىء ذي بدء وبشكل موجز على سيرة الفنان التشكيلية والفكرية ومعلومات أخرى عن المعرض.
إشارة ثانية:
* كُتّيب المعرض يشتمل على رصد للناتج الفني للفنان وأماكن تواجد بعض أعماله الفنية في مختلف المتاحف العالمية.

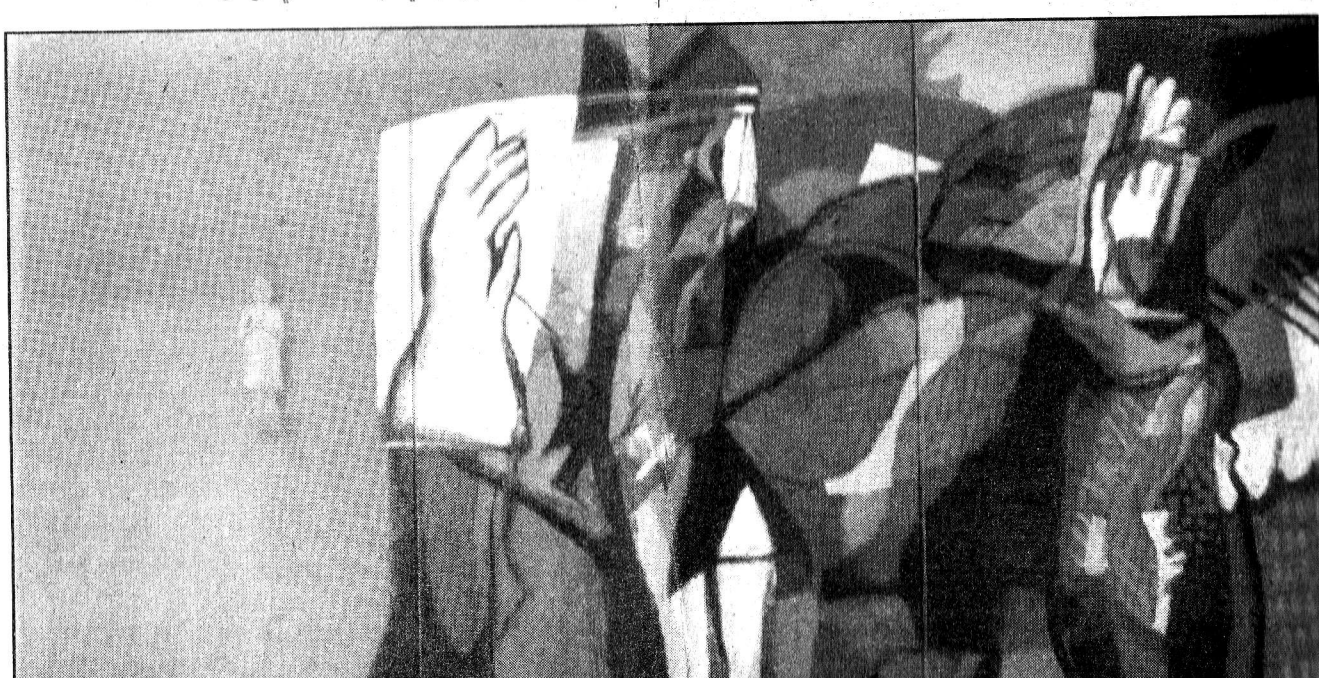

■ الرجل الصامت